﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(فلينظر أحدكم من يخالل)

بتاريخ [٢١-٤-٢٠١٧]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (فلينظر أحدكم من يخالل)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. الأمر أمره، والخلق خلقه، وهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. يرفع ويخفض، ويُضحك ويُبكي، ويغني ويقني، ويبتلي ويعافي، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، فلا إله إلا الله، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾ [الحشر: ١٨-١٩]. أيُها الإخوة، وكما أننا نمهد لدنيانا، ويحرص كل واحد منكم على مستقبله الدنيوي، فلزامًا أن نمهد لآخرتنا كذلك، ولقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ذلك بأن قومًا انشغلوا بدنياهم ومهدوا لها تمهيدًا، وتركوا آخرتهم والعمل لها.

وصدق الله إذ قال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. صدق الله إذ قال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾. أي: الحياة الدائمة الباقية ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. فعلينا أن نتزود لآخرتنا ونمهد لها، علينا أن نمهد لأنفسنا في آخرتنا، وكما أننا نحرص في دنيانا على أحسن المنازل وأحسن المراكب

فلنحرص على دور كريمة لنا يوم نلقى ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، كما أننا نتزود لأسفارنا في دنيانا فلنتزود لأسفارنا إلى آخرتنا، كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٧)﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكما أننا نحرص على الاكتساء بأجمل الثياب في الدنيا علينا أن نكتسي بأجمل ثوبٍ نلقى به ربنا، فلباس التقوى ذلك خير، وكذلك وكما أننا دائمًا وأبدًا نحرص على تطهير ملابسنا وثيابنا فلنحرص على تطهير قلوبنا، فإن الله -سُبْحَانه- كما أخبر أنه يحب المتطهرين أخبر أنه يحب التوابين، فلنحرص على لقاء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بقلبٍ سليمٍ كذلك، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولا يكن أبدًا ظاهرك يخالف باطنك، بل عليك أن يكون الباطن أحسن من الظاهر وأجمل من الظاهر؛ ذلك لأن الباطن يطلع عليه ربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَا إِلى أَمْوَالِكُمْ، ولكن يَنظُرُ إِلى قُلُوبَكُمْ وَإِلى أَعمَالِكُمْ، التَّقوى هَاهنا، وأَشارَ النبي إلى صَدرِه ثلاثَ مرات». وقال الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩]. فكما وأنك بصفة دورية تحرص على غسيل ثيابك ونظافتها وطهارتها فاحرص كذلك وبصفة يوميةٍ، بل وفي كل حينٍ على سلامة قلبك بالاستغفار، والتوبة، والرجوع إلى الله -سُبْحَانه-.

أيُها الإخوة، إنا سائرون في طريقنا إلى الآخرة ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]. والموت يأتينا بغتة لا يدري أحد عن وقت انتهاء أجله، فيخرج الخارج، ويودع أهله لسفر قريب، فلا يأتيهم إلا خبره، وينام النائم، ويوقظه أهله فلا يوقظونه إلا وقد فارق الحياة، وهذا ليس بخاصٍ بشخص كبير السن، أو صغير، أو امرأة عجوز، أو فتاة حسناء، أو طفل في المهد.

وقد ضُرِبت لكم الأمثال، وكل يوم تُضَرب الأمثال، فينادي المنادي: فلان قد مات، تسمع أحيانًا عن شيخ كبير، وتسمع أحيانًا عن شابٍ في مقتبل العمر، وتسمع عن شاب تخرج من جامعته، وفرحت وسعدت به أمه وسعد به أبوه، وتسمع عن طفلٍ مات في المهد، فالموت يأتي بغتة، فعلينا جميعًا أن نستعد له، علينا جميعًا أن نصطحب في هذه السفرة إلى الله -سُبْحَانه- والسفرة إلى الآخرة علينا أن نصطحب صحبة صالحة تعيننا في هذا الطريق وتساعدنا في الوصول إلى في إلى مبتغانا، فلنصطحب رفقة صالحة.

قد كان رسولكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا سافر وأسحر، إذا سافر ودخل عليه وقت السحر يقول: «سَمِعَ سَامِعٌ بحَمدِ اللهِ وحُسْنِ بلائِه علينا، رَبَّنا صاحِبْنا وأفضِلْ علينا، عائِذًا باللهِ مِن النَّارِ». فيطلب من الله أن يصاحبه في سفره «رَبَّنا صاحِبْنا وأفضِلْ علينا». وفي حديث السفر «اللهمَّ أنتَ الصَّاحبُ في السَّفرِ، والخليفةُ في المَالِ والأهل، اللهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن وَعثاءِ السفرِ، وكَآبةِ المنظرِ، وسوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ والأهْلِ». فلتصطحبوا ربكم -جَلَّ وَعَلَا-، ولتسألوه أن يكون لكم صاحبًا «رَبَّنا صاحِبْنا وأفضِلْ علينا». فربنا -سُبْحَانه- خير من هدى، وخير من أرشد، وخير من دل على الطريق الصحيح، خير ولي يتولانا في أسفارنا، خير الرازقين، خير الناصرين، خير الغافرين، أحكم الحاكمين، لا يغفل ولا ينام، لا يضل ولا ينسى، فاتخذوا ربكم مولى لكم، هو مولاكم، هو خير الناصرين.

ثم اعلموا أيضًا أنكم في هذه الرحلة إلى الدار الآخرة تصحبكم ملائكة في كل وقتٍ وفي كل حين، لا يفارقونكم أبدًا، ملائكة كرامٌ كاتبون ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ [الانفطار: ١٢]. فأروا هؤلاء الملائكة منكم خيرًا، اعملوا صالحًا فإنهم يستغفرون لكم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وكذلك عموم الملائكة وليس حملة العرش فقط، فمعكم ملائكة تصحبكم وتشهدنا الآن وفي كل جمعة تشهد المصلين، وتقف تستمع الخطب، وتقف على أبواب المساجد، يكتبون الداخل أولًا بأول، فأيضًا شيء عارض يا إخواننا الذين وقد صعد الخطيب المنبر، حُرِموا أمرًا عظيمًا، لم يقدموا دجاجة ولا بيضة، فضلًا عن كونهم لم يقدموا كبشًا، ولا بقرةً، ولا بدنة، وفضلًا عن ذلك حُرِموا من أن تُثبت الملائكة أسمائهم في سجل الداخلين، فالملائكة إذا صعد الخطيب المنبر طووا الصحف، أُغلِقت الصحف، وجلسوا يستمعون الذكر، كما قال رسولكم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالذين يأتون متأخرين حرموا أنفسهم هذا الشرف العظيم.

ولقد صحبنا أقوامًا وقرأنا عن أقوامٍ من أهل الفضل أنهم يبكرون لصلاة الجمعة؛ منهم من يبكر قبلها بثلاث ساعاتٍ أو أربع، ومنهم من يبكر بساعة أو ساعتين، ولا يكاد أحدهم ينتظر إلى نصف ساعة قبل الجمعة إلا وهو في المسجد، يتلو كتاب الله، ويتزود من دنياه لآخرته، «وَالمرءُ في صَلَاةٍ ما دَامَت الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ». فليتفطن لذلك المتأخرون، ليتفطن لذلك المتأخرون الذين لا يكاد أحدهم يأتي إلا وقد صعد الإمام على منبره، تفطنوا أيُها الإخوة لما ينفعكم في آخرتكم.

أعود قائلًا علينا في هذه الدنيا أن نصطحب رفقة صالحة تساعدنا في الوصول إلى الله -سُبْحَانه-، تذكرنا إذا غفلنا، والصحبة الصالحة أقوامٌ من أهل الفضل والصلاح، احرص على مجالستهم، لا تنفرد فإن النبي قال: «إنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ». لا تأخذ جانبًا وحدك؛ فإن الذئب يوشك أن ينقض عليك، ولكن كما وصى رسولكم «عليكم بالجمَاعِة». فاحرص على رفقةٍ صالحة، فتش في الناس عن رفقاء من أهل الصلاح يساعدونك ويعاونونك في رحلتك إلى لقاء ربك مهما كنت.

فلسنا بخير من الكليم موسى إذ قال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)﴾ [طه: ٢٩-٣٥]. وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما بعثَ اللهُ مِن نبيّ إلَّا وكانَ له حَوارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، ويَسْتَنُّونَ بسُنَّتِه». وكذلك قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ما بعثَ اللهُ مِن نبيّ ولا اسْتخلفَ من خليفةٍ إلَّا وكانَ له بِطَانتان؛ بِطانة تأمرُه بالسوء وتحضُه عليه، وَبِطانةٌ تأمرُه بالخيرِ وتحضُه عليه، والمعصوم من عصمَه اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-».

فعليك بالبحث عن رفقة صالحة، وغير منهج حياتك، فمن كان من أصدقائك شريرًا ابتعد عنه إلى أن تُصلح نفسك، وبعد ذلك يكون غرضًا لك كي تهديه إلى ما هداك الله إليه، ابحث عن صديق صالحٍ يصادقك ويصاحبك كي تصل إلى الآخرة بسلامٍ وأمان كي تصل إلى مرضاة الله بسلام وأمان، ولقد أُمِر نبيكم بذلك، قال الله له: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]. احبس نفسك معهم ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

لقد قال تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)﴾ [الأنعام: ٥٢]. ثم وبعد قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤]. رحب بهم واستقبلهم استقبالًا حسنًا ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

فعليك برفقة صالحةٍ تصادقك، فلها أثرها الطيب عليك وعلى رحلتك إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّما مَثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الْكيرِ؛ فَحامِلُ المِسْكِ، إِمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنهُ رِيحًا طيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكيرِ إمَّا أنْ يَحرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنه رِيحًا خَبِيثًا». فكم ستستفيد من الجليس الصالح والصاحب الصالح! كم ستستفيد! ستراه يذكر الله فتذكر الله كما يذكر، ستراه يصوم الاثنين والخميس والثلاثة البيض فستستحي من نفسك وستصوم -بِإِذْنِ اللهِ- الاثنين والخميس، وتصوم من كل شهر ثلاثة أيام، تراه يتألم إذا فاته الصف الأول في الصلاة فستتأسى به -إِنْ شَاءَ الله- يومًا بعد يومٍ بعد يومٍ.

فعليك بالرفقة الصالحة، إذا رآك عاقًا لأبويك ذكرك بأن العقوق من الكبائر، إذا رآك بخيلًا بمال سيحثك على الصدقة، إذا رآك قاطعًا للرحم سيذكرك بوصل الأرحام، سيذكرك بالعفو عن الناس، سيذكرك بكظم الغيظ، سيكفك عن الاغتياب، إن الصديق الصالح لا يشقى به جليسه أبدًا حتى في الآخرة، «هُمُ القَومُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

ولقد علمنا أن زكريا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- استفاد من مريم -عَلَيْها السَّلَامُ- إذ كان يكفلها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. يسألها: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾. تقول: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)﴾ [آل عمران: ٣٧-٣٨]. قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩]. فاستفاد من مجالستها عدم اليأس من رحمة الله، واستفاد من مجالستها أن رُزِق بيحيى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

الصديق الصالح يُعلمك الفقه في الدين، ينصح لك، ولا يغشك، يحفظك في غيابك، لا يطعن في عرضك، إنما يحفظ لك عرضك ويصونك -بِإِذْنِ اللهِ-، يدعو لك في غيابك أن يوفقك الله وأن يسهل الله أمرك، هكذا فالصديق الصاحب معينٌ -بِإِذْنِ اللهِ-، وكما قالوا: الصاحب ساحب؛ يسحبك إلى الخير إن كان خيرًا، ويسحبك ويقودك للشر إن كان شريرًا مفسدًا.

أيُها الإخوة، إن خير القرون هم قرن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنهم صحبوا النبي محمدًا، خير ولد آدم، وسيد ولد آدم، فصحبوه واستفادوا من صحبته، وخير الناس من بعدهم التابعون الذين صحبوا الصحب الكرام، وبعد التابعين أتباع التابعين صحبوا التابعين فاستفادوا منهم، إن ربنا قال فيه كتابه: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧]. ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾. من مَن؟ ولماذا؟ قال كثيرٌ من أهل العلم: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾. يعني: كفار الأعراب أشد كفرًا من كفار المدينة، ومنافقو الأعراب أشد نفاقًا من نفاق أهل المدينة. لماذا ذلك؟ قال العلماء: لأن المنافقين في المدينة مع أنهم أهل نفاق، لكن تجملوا في الظاهر بأخلاق المسلمين؛ لأنهم عايشوا المسلمين، أما منافقو الأعراب فجمعوا بين النفاق، وبين الجفاء، والغلظة، والفظاظة، ومجالسة قطاع الطريق الذين يسطون على العباد ويسلبونهم الأموال.

ولذا قال العلماء: أنه حتى النصراني في مصر خير من النصراني في روسيا، في أمريكا؛ لأنه يستحي إذا قلت له: ابنتك زنت، يستحي من ذلك، أما النصراني في بلاد الكفر فلا يستحي من ذلك، ولا يهتش لذلك، بل كأنها ذبابة وقعت على أنفه ثم طارت، بل ولا ذبابة حتى، فالشخص يؤثر في جليسه، فاحرص على مجالس الطيبين، احرص على مجالس يُتلى فيها كتاب الله، واحرص على أماكن الصالحين كذلك، أماكنهم في المساجد ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لا

تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧)﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

احرص على مجالسة الصالحين فإنك تتشبه بهم، وتقتفي آثارهم، وكما لا يخفى عليكم فإن الله قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات: ٥٥]. فتستفيد منهم ومن مجالسهم، احرص على أهل الفضل والصلاح، واحرص على التواجد معهم في الأماكن الطيبة والمجالس الطيبة تزداد خيرًا، تحمل زادًا طيبًا يوصلك إلى مرضاة الله، يشفعون فيك في الآخرة، يسألون عنك إذا افتقدوك، فهذا شأن أهل الصلاح مع بعضهم البعض.

إنكم تعلمون أن النبي قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلهُ: رَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ: اجتَمَعا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ». مجالسهم عند الالتقاء فيها ذكرٌ لله، وعند الافتراق فيها ذكر لله، وفي ثنايا المجالس تذكير بالله وبأوامر الله، لا يخفى عليكم أن النبي قال: «قالَ اللهُ تعالَى: وَجَبَتْ مَحبَّتي للمُتحابِينَ فيَّ، والمُتباذِلينَ فيَّ، والمُتزاوِرينَ فيَّ». فالزيارة في الله تستجلب بها محبة الله -سُبْحَانه-، «والرجلُ الذي زارَ أخًا له في قريةٍ أرصد اللهُ لهُ مَلَكًا علَى مَدْرَجَتِه يُذكرُه باللهِ».

فالتحق بالصحبة الصالحة، القنوات الفضائية الصالحة الطيبة تسمع فيها كتاب الله يُتلى، تسمع فيها سنة رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُذكَر بها، تسمع فيها مجالس علم وخير، يلتحق بالصحبة الصالحة الكتاب النافع، فكتاب يحمل قال الله، قال رسول الله، يحمل فقهًا في الدين صديق صالح وصاحب تسترشد به، وكتاب يحمل شرًا وفسادًا صديق سيء بلا شك، يلتحق بالصحبة الصالحة الهاتف المحمول والبرامج التي عليه، فإن كانت طيبة فإنك ستستفيد، وإن كانت شريرة مفسدةً فإنك ستأثم وتحمل كل يوم أوزارًا، عيناك تحمل أوزارًا، قلبك يظلم، لسانك يلغو.

وكذلك الزوجة صاحبة صالحة أو شريرةٌ مفسدة، فالزوجة الصالحة وهي صاحب كذلك قد تذكرك بأمر الله، قطعت أخاك تقول لك: لمَ لم تصل أخاك؟ لمَ لم تصل أختك؟ أختك تحتاج إلى زيارتك. فتذكرك الزوجة الطيبة بزيارة إخوانك وأخواتك، تذكرك بالبر بالوالدين، هل زرت قبر أبيك منذ زمن؟ لمَ لم تذهب لزيارته؟ لعلنا نتعظ، لعل الله يبارك لنا في أولادنا، فالزوجة أيضًا جليس، قد تكون جليسًا صالحًا وقد تكون جليسًا سيئًا مبخلًا، تأتي تنفق في سبيل الله تقول: أولادك في احتياج. تأتي تصل أخاك أو رحمك تقول: نحن أولى، بيتنا فارغ. وهكذا تثبطك عن أعمال الخير، وصدق الله إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

أيُها الإخوة، إن الجلساء الشريرين يردون الشخص، ومن ثم قال موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وأخوه هارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)﴾ [المائدة: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾ [الأنعام: ٦٨]. ويقول تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

إن ربنا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (٥٨)﴾ [المائدة: ٥٧-٥٨]. فالأصدقاء الشريرون يدمرونك، ويجنون عليك، يجنون عليك ويدمرونك، يدمرون آخرتك، ومثل أبي طالب عم الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كاد أن ينطق بلا إله إلا الله قبل مماته فيغنم جنات النعيم، ويغنم مرافقة النبي الأمين، ويعيش من السعداء أبد الآبدين، ولكن أصدقاء سوءٍ أبو جهل وأمية بن خلف وغيرهما لن يزالا به حتى قال آخر

ما قال هو على ملة عبد المطلب، فماذا كان؟ «كان في ضَحْضَاحٍ من نارٍ يَغْلِي مِنهما دِماغُهُ». وإلى كم سنة؟ هل إلى مائة سنة؟ هل إلى ألف سنة؟ كلا، بل لا يموت فيها ولا يحيى.

فعياذًا بالله من أصدقاء السوء، إن اصدقاء السوء يتلاعنون يوم القيامة، يكفر بعضهم ببعضٍ، ويلعن بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [فصلت: ٢٩]. لماذا؟ ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾. كذا يقول أهل الكفر سائلين الله ذلك، وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١].

الأصدقاء الشريرون يحرصون على غوايتك وعن صرفك عن دينك، إن ربكم قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾ [النساء: ٢٧]. ويقول تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]. ويقول تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]. ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

أصدقاء السوء يحاولون غوايتك، أُثِر عن عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- القول: «إنَّ الزانيةَ تتمنى لْو زنت النسوة كُلُهن، وإنَّ السارقَ المحدودَ الذي قُطِعَت يدُه يتمنى أنْ لو سرقَ الناسُ كُلُهم». السارق الذي قطعت يده يتمنى أن تُقطَع أيدي الناس كلهم حتى لا يفخر أحد منهم عليه، ولا يعايره أحد فيسعى جاهدًا، ولذلك يُحذَر الشباب من أصدقاء

السوء، فترى الشباب الضائع -هداهم الله- تراهم يحرصون على أن يتناول الشاب من زملائهم جرعة واحدة من المخدرات أولًا، ويعطونها له مجانًا، ومرة ثانية، ومرة ثالثة إلى أن يدمن المخدرات، فإذا به يتحول إلى سارق، يسرق مرة من بيته، ومرة يسطو على المحلات، ومرة ينتشل من المواصلات، ومرة يهجم على بنات يأخذ السلاسل والحلقان للإدمان الذي حل به، فما هي إلا أيام قليلة وتراه مودعًا في غياهب السجون بسبب أصدقاء السوء، وإن شئتم زرتم المساجين، ما الذي أتى بك؟ يقول أحدهم: أنا جالس على المقهى ما شربت شيئًا، جاءت الشرطة فحملتني معهم وأخذت عشر سنوات سجن أو عشرين سنة، فدائمًا قال ربنا: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾. ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)﴾ [القصص: ٦٣].

فالحذر الحذر من جليس السوء، يأمرك بأن تعق والديك، يقول لك: افعل كذا، وافعل كذا، وأبوك سينزل على رغبتك، سينزل على رأيك، أنا جربت هذا. ويوصيك بالعقوق، يوصيك بالشر، يصطحبك إلى بيت فتاة غوية فما تلبث إلا وقد وقعت في فاحشة الزنا، وكذلك الصديقة المتبرجة لم تزل بالفتاة الصالحة انظري إلى محاسنك، لمَ تغطين هذا الوجه الجميل؟ انظري إلى محاسنك، البسي لبس جيد إلى أن تورطها وتلقي بها في المزابل والمستنقعات، وتصبح فريسة للشباب الساقط، فإن الشباب الساقط يتتبع الساقطات، ويحول العفيفة إلى ساقطة -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، يظهر لها في سورة الحمل الوديع المنقذ، وبعد ذلك إذا به ذئب ضاري لا يرقب فيها إلا ولا ذمة.

عليكم أيُها الإخوة بالأصدقاء الصالحين، وبلادهم، ومواطنهم، حتى لو استدعى الأمر أن تبيع بيتك، إذا كان الجيران جيران سوء بع البيت ليست هناك مشكلة، اترك أرضك أرض السوء واذهب إلى أرض كذا وكذا فيها قوم صالحون، يعبدون الله فاعبد الله معهم، ما الإشكال إذا بعت بيتك وانتقلت إلى مكانٍ فيه أهل صلاح؟ ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [العنكبوت: ٥٦]. ويُواسى الصالحون المبتغون فضل الله -سُبْحَانه- بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)﴾ [العنكبوت: ٥٧]. لك شقة ومنزل، وجارك فاسد وبيتٌ فيه فسق يجاورك انتقل يا أخي من هذا المسكن، لن تخلد فيه، انتقل إلى بيت يذكر بالله، يذكر بأوامره، يذكر بحدود الله، فانتقِ بيت في مكان طيب.

وقد قال العلماء: الجار قبل الدار. واستدل بعضهم بقول مريم -عَلَيْهَا اَلسَّلَامُ-: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]. قبل البيت قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ﴾. قالوا: اختارت الجار قبل الدار، فقبل أن تذهب إلى البيت وتنظر أساس البيت، وتنظر التشطيبات، انظر من جيرانك، قد تخرج من البيت فيخلفونك في أهلك بشر وبسوء -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، فاختر بلدة صالحة، اختر جيرة صالحة، اختر زوجًا صالحًا، اختر برامج صالحة، انظر إلى قنواتٍ صالحة، اقرأ مقالات صالحة في جريدة طيبة.

كن دومًا في سلك الطيبين الأخيار، كن دائمًا أينما ذهبت وأينما رجعت مع الطيبين الأخيار، كتاب طيب، زوجة طيبة، بل الخليل قال لإسماعيل: «غيرْ عتبةَ بابِك». لما كانت شريرة مفسدة، وقال ابن عمر: «كانت تحتي امرأة كنت أحبها، وكان عمر يكرهها». عمر يكرهها، ولماذا؟ هل تظنون أن الفاروق يكره امرأة لصلاحها؟ كلا؛ بل قال العلماء: رأى من ابنه انشغالًا عن الجمع، انشغالًا عن الجماعات بسبب هذه المرأة، فأمره وأصر عليه أن يغير هذه المرأة، أبى عبد الله بن عمر، وكان يحبها، فذهبا إلى رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فقال: «أَطعْ أباك». فإذا كان الوالد رشيدًا يحرص لك على الخير فاستمع له، وإن آل الأمر إلى أن تطلق المرأة التي تشغلك عن ذكر الله، فربك قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

أيُها الإخوة، إن الجليس يؤثر بلا شكٍ، إن عمر قال: «كنا معشر المهاجرين، كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء». يعني: المرأة فينا ليس لها رأي، ليس لها كبير رأيٍ، «فلما قدمنا المدينةَ وجدنا رجالًا تغلبُهم نساؤهم فطفقَ نساؤنا يأخذنَ من أدبِ نساء الأنصار، فإذا اشتددت يومًا على امرأتي، فإذا بها تراجعني، قلت: لها ولمَ تراجعيني؟ كيف تراجعيني؟». يعني: كيف سولت لك نفسك أن تراجعيني؟ القرشيون كانوا أشداء على النساء، «قالت: ولمَ لا أراجعُك وابنتُك تراجعُ رسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتهجرُه اليومَ إلى الليلِ». شاهدي من ذلك: أن نساء المهاجرين طفقن يتعلمن من نساء الأنصار، نعم قد يكون في سلوك الأنصار مع النساء لين محمود بعض الشيء، ولذا لم يكن الرسول فظًا ولا غليظًا على نسائه -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

شاهدي: أن النسوة يتعلمن من بعضهن البعض، تجلس المرأة مع الأخرى تشكو لها: زوجي ضربني، زوجي داخل مبوز مكشر، تقول لها: لا تتركيه هكذا، أدبيه. وتلقنها الحجج، وتعلمها تعليمًا لإفساد حياتها، لا تسكتي له، إنه بعد ذلك سيتعود، ويفعل، ويفعل، ويفعل، لكن قفي له من الأول يستقيم. يؤول الأمر بها إلى الطلاق إذا كانت مع زوج لا يفهم، ولا يقدر، ولا يدرك حيل النساء ولا تعليم النساء، ولذا شُرِع لنا إن رأينا من المرأة نشوزًا أن نعظها ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]. قل لها: هذا الذي تفعليه لا يرضي الله، أنت امرأة مسلمة، أنت صالحة، أنت مصلية، لكن هذه الأفعال لا ترضي الله، أنا زوج ولي عليك حق، وما أمرتك إلا بطاعة الله، وما أمرتك إلا بطاعة رسول الله، وأنا وأنت نريد القرب من الله، فلا تستمعي لامرأة غويةٍ تريد أن تفسد عليك حياتك. وبغير ذلك من صور الوعظ؛ لأن الله قال: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾. هذا الذي قدمه الله قبل الهجران في المضجع وقبل الضرب، ألا فلتحذر النسوة صديقات السوء أيضًا اللواتي مُلِئت بهن المجالس، واللواتي لا يؤخذ منهن إلا

الاغتياب، والطعن في الكبير، والطعن في الصغير، وانتقاص الناس، وإفساد ذات البين، وإفساد المرأة على زوجها.

أيُها الأخ الكريم، إذا رأيت صديقًا يقربك من الله فعليك به، واغنمه، فإنه زاد طيب -بإذن الله تعالى-، وإذا رأيت صديقًا شريرًا فابتعد عنه، وتولى الصالحين يتولاك الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وأيقن دائمًا أن ما عند الله خير وأبقى.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فلما يدور حولنا من التذكير بالإسراء والمعراج، والذي بناه الناس على أن ليلة الإسراء كانت ليلة السابع والعشرين من رجب فأقول وبالله تعالى التوفيق، لم يثبت سند بتعيين متى كان الإسراء والمعراج، لم يثبت سندٌ عن النبي أو عن أحد الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- بتعيين الشهر أو بتعيين اليوم أو الليلة، وإنما المقطوع به أن النبي أُسري به -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- من مكة قبل الهجرة، نعم، قيل: قبل الهجرة بعامين، وقيل غير ذلك، لكن يقينًا أنه أُسري به قبل الهجرة لقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [الإسراء: ١].

وتضافرت أقوال العلماء على أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُسري به بعد أن اشتد التضييق عليه أيما شدة، ضُيق عليه أيما تضييق، وبعد أن حوصر هو وقبيلته بنو هاشم، وكذا لحقهم بنو المطلب، حوصروا جميعًا في شعب أبي طالب، واشتد الحصار،

وأجمع المشركون على عدم التعامل معهم، على عدم المبايعة والشراء منهم ولهم، على عدم الزواج منهم، على القطيعة التامة، إلى أن أكلوا ورق الشجر.

وقد قيل: إن خديجة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- مرضت بسبب هذا الحصار مرضًا شديدًا ماتت بسببه، الشاهد: أن الأمور اشتدت على النبي أيما شدة، وبعد أيضًا مات عمه أبو طالب قبل خديجة، وبعده خديجة، وماتت خديجة، واشتد الأذى برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فجاءت رحلة الإسراء بالرسول لعديد من الحكم ولعديد من الغايات، لا يتسع المقام لذكر هذه الحكم ولا لذكر هذه الغايات، والتي منها أنها نوع من مواساة لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإطلاعه على شيء من قدرة الله -سُبْحَانه-، حتى لا ييأس شخص أبدًا من رحمة الله، فالنبي في مكة في بيته يُسرى به من المسجد الحرام رؤيا عين يقظة ليست منامية، يُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة، ويُعرج به إلى السماوات العلى، ويرى الأنبياء، ويثبت منازلهم، ويرى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى، ويرى البيت المعمور، ويُكلمه ربه، ويوحي إليه بالصلوات، وتُخفَض الصلوات، وبعد يرجع إلى قريشٍ في نفس الليلة.

فبلا شك أن هذا نوعٍ من أعظم أنواع المواساة، ويهون على الرسول بعد ذلك كل خطب يعتريه، كل خطبٍ وكل أذى يعتريه يهون عليه ما قد رآه ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾ [النجم: ١٨]. لقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. اختبارًا للناس.

فتنزه ربنا عن الشريك، تنزه ربنا عن الولد والصاحبة، تنزه ربنا عن الضعف والعجز، تنزه ربنا الذي أسرى بنبينا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ليريه من آياته، إنه هو السميع لما يجري لرسول الله مع قومه من مقولات، البصير الذي لا تخفى عليه خافية، تنزه ربنا عن العجز، ونحن أمام أهل الكفر الذين ينكرون المعجزات، ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات، إذا قال قائلهم مقولة أهل الشرك في زمن الرسول، قال: كيف يُسرى برجلٍ؟ وكيف يُعرَج به إلى السماوات؟ جوابنا الأصيل ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ [البقرة: ٢٠]. ربنا لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ربنا ليس كمثلنا، ربنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى: ١١].

فبنو آدم إذا عجزوا عن شيء ظنوا أن الله يعجز عن هذا الشيء كما أنهم عجزوا، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨]. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾. أي: شبهنا بخلقنا، لما وجد ابن آدم نفسه عاجزًا عن إحياء الموتى وأتى ببعض العظام وفتتها، فتت العظام و ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.؟ ظن أنه لعجزه كبشر عن إحياء العظام أن الله عاجز مثله، تعالى الله عن ذلك.

فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾. أي: شبهنا بخلقنا ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. ﴿قُلْ﴾ [يس: ٧٩]. لهذا ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)﴾ [يس: ٧٩-٨٠].

فجوابنا أمام كل سؤالٍ يأتي على الإسراء والمعراج، وأي تفنيدٍ يأتي عليه: أن الله على كل شيء قدير. والحمد لله؛ إذ وفقنا الله لعبادة رب كبير، ربٍ قدير، ربٍ مجيد لا

يعجزه شيء، الحمد لله؛ إذ وفقنا لعبادته، فهو الكبير المتعال، وهو القادر على كل شيءٍ، وهو القدير، وهو العليم، فالحمد لله على هذا.

فأي تسائل في هذا الصدد، كيف يُسرى بالرسول ويُعرَج به ثم يرجع في ليلة؟ الله على كل شيء قدير، كيف يلتقي النبي بالأنبياء في المسجد الأقصى ويصلي بهم، وبعد ذلك يراهم في السماوات، يرى آدم في الأولى، وزكريا ويحيى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، لقد رآهم في المسجد الأقصى؟ نقول: الله على كل شيء قدير، جواب أصيل.

لما استنكر أهل الشرك على رسول الله، أنكروا على الرسول، وقالوا: صف لنا المسجد الأقصى، تدعي أنك صليت، صفه لنا. ما كان النبي أتقن رؤية المسجد فجلاه الله له كأنه أمام عينيه، بل رفعه أمام عينيه وأراه، وهم لا يرونه، فطفق يصف أدق الوصف، قالوا: أما الوصف فقد صدق محمد. لم يسافر إليه أبدًا ومع ذلك وصفه أدق الوصف – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–، كيف ذلك؟ الله على كل شيء قدير، فهذا جوابنا الأصيل دائمًا، فإننا أيُها الإخوة لا نكترث بخلاف الكفار، ولا ننهزم أمام مقولاتهم؛ لأنهم يكذبون بالغيبيات، فالملاحدة يقولون: لا نؤمن إلا بالمحسوس، وأهل الكفر كذلك يتبعونهم في الكثير والكثير على اختلافات وتضاربات بينهم.

أما نحن فنؤمن بالغيب، صدقنا ربنا الذي أنزل الكتاب على رسوله، صدقنا بأن القرآن من عند الله وبأن محمدًا رسول من عند الله، فانحلت عنا كل العقد، وانقشعت عنا كل الغيوم لما علمنا أن القرآن من عند الله، ولما علمنا وأيقنا وأقررنا أن محمدًا رسولٌ من عند الله وأن الله الذي أرسله، فكل الغيوم انقشعت عنا، كل الشبهات اندفعت عنا، لعلمنا بأن الله على كل شيء قدير.

لقد استفدنا آدابًا من قصة الإسراء والمعراج، فقد مر النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بأقوام «يَخْمُشُوَن وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ». يمزقون وجوههم وصدورهم «بأَظْفَارٍ مِن نُحاسٍ، سألَ النبي: مَن هؤلاءِ؟ قيلَ: هؤلاءِ الذينَ يغتابونَ المسلمِينَ والمسلمات، ويَقَعُوَن في أَعْرَاضِهِمْ». مر النبي أيضًا على ما حسنه بعض العلماء -عِيَاذًا بِاللهِ- «برجالٍ لَهُم ألسنةٌ تُقرَضُ شِفَاهُهُمْ وألسنتُهُمْ بِمَقَاريضَ مِن نارٍ». عياذًا بالله من ذلك «همُ الخُطَباءُ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ». شُمَت رائحة ليست بالمحمودة هي رائحة المغتابين، وذلك في مواطن أُخر غير رحلة المعراج.

لقد رأى النبي سدرة المنتهى، هي شجرة سدر، سدرة المنتهى شجرة سدر، وشجر السدر معروف ليس بذاك الجميل، بل هو شجر مليء بالشوك، لكن كما قال ربنا: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)﴾ [النجم: ١٦]. حل بها من أمر الله ما حل، فأصبحت لا توصف من جمالها ولا من حسنها، قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾. أي: يحل بها من أمر الله ما حل، لقد رأى النبي البيت المعمور، ورأى الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مسندًا ظهره إليه، ورأى كل يوم يدخله سبعون ألفًا ثم لا يعودون، أخبره بذلك جبريل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فُرِضت الصلوات خمسين أول ما فُرِضت، وجزى الله الكليم موسى عنا خيرًا، فالأنبياء رحماء بأهل الإيمان، قال موسى لرسولنا محمد -عَلَيْهِمُا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «يا محمد، ارجعْ إلى ربِك اسألْه التخفيفَ عن أُمتِك، إنَّ أُمتَك لَا تطيقُ ذلك، ولَقدْ بلوتُ بني إسرائيل بأقلَ من ذلِك فما وفُوا به». فخُففت الصلوات خمسًا بعد خمسٍ حتى وصلت إلى خمس في العمل وخمسين في الأجر، فجزى الله الكليم موسى عنا خير الجزاء.

لقد انشطر الناس بعد نزول النبي من رحلة المعراج بعد الإسراء فريقٌ مصدقٌ كالصديق الكريم أبي بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي صدق رسول الله في خبر السماء، وأقر

للرسول بالرسالة، وقال فيما يؤثر عنه: «إنْ كانَ محمدٌ أخبرَ بذلِكَ إني أصدقُه في أكثرَ من ذَلِكَ». وهذه بديهية يعلمها الجميع أن الله الذي أرسل رسوله قادر على أن يمده بما شاء من المعجزات، قادر على أن يؤيده بالآيات، قادر على كل شيء.

قد أُلقي الخليل في النار فخرج سالمًا، قد فلق الله البحر لموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قد أحيا الله الموتى لعيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قد سخر الله الريح لسليمان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قد ضرب أيوب الأرض برجله فتفجرت ينابيع، قد تفجرت الأرض لهاجر -عَلَيْهَا اَلسَّلَامُ-، وهكذا ألان الله الحديد لداود -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ربي على كل شيء قدير، فالحمد لله، لا يأس أبدًا من رحمة الله فهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾. فلا يأس أبدًا ولا نيأس أبدًا من رحمة الله، فبين عشية وضحاها يُغير الله من حال إلى حالِ ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ [يوسف: ١١٠].

أيُها الإخوة، لا تيأسوا أبدًا من رحمة الله، لا تيأسوا أبدًا من روح الله، لا تيأسوا من فرج الله ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾. ولن يغلب أبدًا عسر يسرين، لن يغلب أبدًا عسر يسرين، ولكنها ضوائق عند الله منها المخرج

وَلَـرُبَّ ضَـائِقَة يَضِـيقُ لَهَـا الْفَتَـى ذرعًـا وَعِنـدَ اللهِ مِنهَـا المخَـرَجُ

فالصبر الصبر، والنظر إلى سير الأنبياء وسير المرسلين، ترون الفرج دائمًا ليس ببعيد، إن الصديق يوسف في سجنه سنوات من حيث لا يدري ولا يتوقع في وقتٍ لا يتوقع إذا بالطارق يطرق عليه باب سجنه ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦]. الآيات، إذا بالطارق يدعوه، إن الملك يدعوك، ويخرج معززًا مكرمًا بين عشية وضحاها، وأن أباه يعقوب الذي بلغ به الأذى مبلغًا عظيمًا، وذهب بصره من شدة حزنه على يوسف أولًا وبعد على أخيه المذكور في السورة المباركة، إذا بالبشير يأتي

ويلقي القميص على وجهه فيرتد بصيرًا، يرتد بصيرًا، ويأتيه البشير بأن ولدك أصبح عزيزًا على مصر، ذلك المفقود آنفًا.

وموسى في طريقه إلى مصر مع بعض الغنيمات له في سيناء المظلمة آنذاك، والبرد شديدٌ، والظلام شديدٌ، ويخشى على أهله الشر في سيناء، وضل الطريق، الطريق مظلم وموحش، وفي انتظار أن يُقتَل في مصر، فالملأ يتربصون به الدوائر، وتتغير الأحوال في أقل من ثوان، يكلمه ربه فيصبح المصطفى من الناس بالرسالة والتكليم، ويصبح من أولي العزم من الرسل، ويؤيَد بالمعجزات، وهكذا أيوب يضرب الأرض برجله فتُخرج ماءً، يغتسل، يذهب عنه كل داء وكل بلاء، ويأتيه الجراد من ذهب يصبح أغنى الأغنياء، فلا يأس من رحمة الله، لا يأس أبدًا من رحمة الله، لا تعجزوا أبدًا، ولا تملوا، ولا تظنوا بربكم الظنون، هو الذي يكشف الضر، هو الذي يجيب المضطر، والمحنة تخرج منحة، امرأة زيد بن حارثة أم المؤمنين زينب بنت جحش طُلِقت، والمطلقة تحزن لكسرها بطلاقها، ولكن ولصلاحها ما هي إلا أن انقضت عدتها فإذا برب العزة يزوجها برسوله محمد، أم سلمة كذلك مات زوجها ويصبرونها: لعل الله أن يبدلك خيرًا، تقول: «ومَن خير من أبي سلمة؟!». ولكن عند الله من هو خير من أبي سلمة، رسول الله يرسل ليخطبها -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فتصبح أمًا للمؤمنين جميعهم.

أيُها الإخوة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾. عليكم بالرفقة الصالحة، والزاد الصالح، والتقوى، والعمل لآخرتكم، والموفَق من وفقه الله.

اللهم زودنا بزاد التقوى، وألبسنا لباس التقوى، اللهم زودنا بزاد التقوى، وألبسنا لباس التقوى، واجعلنا مع المتقين المقربين يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمدٍ في أعلى جنة الخلد عند مليك مقتدر يا سميع الدعاء، اللهم اجعلنا مخبتين لك، ذاكرين لك، شاكرين لنعمائك، متعوذين من عقابك يا

رب العالمين، نعوذ بك يا ربنا من غضبك، وعقابك، وشر عبادك، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، اللهم ألحقنا بالمنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وأعنا على موالاة أوليائك، وأعنا على اللحاق بهذا الركب الصالح والرهط المبارك الكريم، رهط الأنبياء، رهط المرسلين، رهط الصحب الكرام والتابعين الصالحين يا رب العالمين، يا رب هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واجعل هذا البلد مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، اللهم اقضِ الدين عن المدينين، واشفِ مرضى المسلمين، وألف بين قلوب المؤمنين.

أيُها الإخوة لا تنسوا الصلاة والسلام على رسولكم محمد، ولا تنسوا شكر ربكم في كل وقت وحين حمدًا لله وصلاة وسلامًا على رسول الله.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=dv٢٥١JffjWM&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٣٤

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share